عناصر الاتساق:

هناك ثلاثة أنماط لعناصر الاتساق (السبك)(*) وهي: نحوية ومعجمية وصوتية .

تشمل عناصر الاتساق (السبك) النحوي (*Cohésion Grammaticale*): الإحالة (*Rréférence*)، الحذف (*Ellipses*)، الاستبدال(*Substitution*) ، العطف (*Junction*)، التوازي (*Parallélisme*).

أما عناصر الاتساق (السبك) المعجمي (*Cohésion Lexicale*): فتشمل: التكرار (*Réitération*)، التضام (*Collocation*)

أما عناصر السبك الصوتي فتشمل : الجناس - السجع - الوزن والقافية- التصدير - التدوير - الترديد

أولا: عناصر السبك النحوي (*Cohésion Gramm aticale*):

1. الإحالة

يقصد بالإحالة وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها [1]، وتسمى تلك العناصر عناصر مُحِيلَة، وهي: الضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، فهذه الكلمات تعود إلى عناصر مذكورة في أجزاء أخرى من النص، وتقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما، وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر[2].

يقع التماسك عن طريق الإحالة عند استرجاع المعنى في الخطاب، هذا " المعنى خاضع لقيد دلالي جراء تتطابق الخصائص الدلالية للعنصر المحيل والعنصر المحال إليه" [3] وهو ما يحقق الاقتصاد في اللغة، إذ تختصر الوحدات الإحالية العناصرَ المحالَ إليها وتجنّب مستعملها إعادتها، وفي الوقت نفسه تحفظ المحتوى دون الحاجة للتصريح به ومن ثم تتيح الاستمرارية في عالم النص، من خلال "التتابع الخطي للجمل على المستوى التركيبي، وتؤكد الترابط المضموني بين دلالات القضايا في البنية الكبرى على المستوى الدلالي"[4].

لعل من رأفة اللغة بمستعمليها أنها أغنتهم عن رتابة تكرار عناصر لغوية سبق تداولها، بل يكفي اختزان الألفاظ السابقة (العناصر الإشارية) والربط بينها وبين العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها، فـ"تقوم شبكة من العلاقات الإحالية بين العناصر المتباعدة في فضاء النص، فتجتمع في كل واحد عناصِرُه متناغمة، وهذا مدخل الاقتصاد في نظام المعوضات، إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعمِلَها إعادتها وتكرارها [5] .

أنواع الإحالة:

يقسم الباحثان "هاليداي ورقية حسن" الإحالة إلى:

- **إحالة مقامية (خارجية) (*Exophora*)**: وفيها يحيل عنصر في النص إلى شيء خارج عن النص، إنها "إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم " [6]. لذلك لا يعتد بهذا النوع آليةً اتساقيةً - السبك- بقدر ما ينظر إليه في إطار سياق الموقف الخاص بالنص، لأن الإحالة الخارجية "تساهم في خلق النص لكونها تربط اللغة بسياق المقام، إلا أنها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما تقوم الإحالة النصية بدور فعال في اتساق النص[7]. فبعد أن تستوي بنية النص الهيكلية جراء الربط الرصفي لعناصرها اللغوية، تتولد المفاهيم نظير ارتباط الاستعمالات اللغوية للسياقات المرافقة لعملية الإبداع.

---

*) مصطلح تراثي عرفه ابن المنقذ بقوله:" وأما السبك فهو أن يتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره".

– ينظر: أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق" د. أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، (دط)، 1960، ص: 164.

1– محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص:17.

2 – نفسه، ص: 18.

3 - نفسه، ص: 17.

4 – د. سعيد حسن بحيري، ظواهر تركيبية في مقابسات أبي حيان التوحيدي دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص: 235.

5 – الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص: 121.

6 - نفسه، ص: 119.

7 - محمد خطابي، لسانيات النص– مدخل إلى انسجام النص– ، ص:17.

- **إحالة نصية (داخلية) (***Endophora***)**، فتتفرع إلى إحالة قبلية (*Anaphora*) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقدم عليه، وإحالة بعدية (*Cataphora*) وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر يلحقه وتستخدم لإيضاح شيء مجهول أو مشكوك فيه. وهو ما يفسره الرسم التوضيحي الآتي[8] :

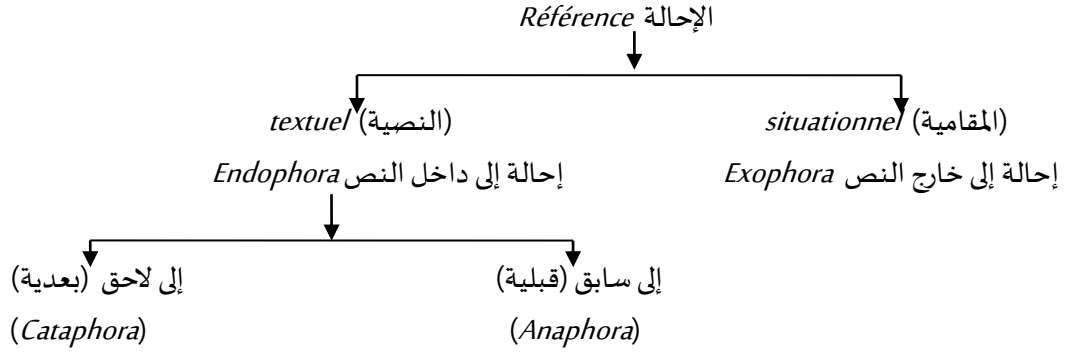

أدوات الاتساق الإحالية

يراد بها مجموع الألفاظ التي يعتد بها لتحديد المحال إليه إحالة نصية أو مقامية، ويسميها روبرت دي بوجراند "الألفاظ الكنائية-*Pro forms*" [9] وهي عند لزهر الزناد " العناصر الإحالية التي تترابط بها أجزاء النص المختلفة...فلا يكاد نص يخلو من ضمير عائد أو اسم إشارة أو اسم موصول..إذ تختصر هذه الوحدات الإحالية العناصر الإشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها"[10].

ومن أكثر العناصر الإحالية فاعلية في اتساق النص: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة وبها تكتسب الإحالة صفتها. يمكن أن نميز بين عنصرين لغويين يشكلان قطبي الإحالة هما: العنصر الإشاري والعنصر الإحالي.

العنصر الإشاري:

وهو عند لزهر الزناد " كل مكون لا يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[11]، فإن عاد على مفرد أو ذات كذات الكاتب، فهو عنصر إشاري معجمي، وإن دل على حدث أو مقطع من نص فهو عنصر إشاري نصي. يحكم العنصر الإشاري كل العناصر الإحالية المتعلقة به حيث يعطيها قيمتها "[12]، فيسهم بذلك في تماسك النص وربط أجزائه المتباعدة.

العنصر الإحالي:

وهو عند ا لزهر الزناد " كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره"[13]، تنبع هذه الحاجة من كون العناصر الإحالية مبهمة مما يجعل تفسيرها متعلقا بما يعوضها من العناصر الإشارية، لأن هذه العناصر "كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها"[14].

8- ينظر: المرجع نفسه، ص:17 و18.

9 - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر/ د.تمام حسان، عالم الكتب، نشر توزيع طباعة، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص: 323.

10 - الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص: 121.

11 - الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص: 127.

12 - د. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2005، ص: 97.

13 - نفسه، ص: 131و 132.

14 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص، ص: 16و17

يمكن أن نميز بين نوعين من العناصر المحيلة: عنصر إحالي معجمي وعنصر إحالي نصي وذلك من خلال دلالة العنصر الإشاري؛ فإن فُسِّر العنصر المحيل بذات أو بمفهوم مجرد، فهو عنصر إحالي معجمي، وأما العنصر الإحالي النصي فيعود على مكون مفسر له يمثل مقطعا من النص.

كل هذه العناصر داخل النص تملك إمكانية الإحالة، والاستعمالُ وحده هو الذي يحدد نوعها[15]، لأن "المفردة وحدة معجمية تدل على معنى ولا تحيل إلى مرجع، أما العبارة فهي استعمال المفردة في صيغة صرفية كالمعرفة والنكرة والمفرد والجمع... وهذا الاستعمال هو الذي يقوم بعملية الإرجاع أو الإحالة إلى المرجع ... على اعتبار أن الإرجاع وظيفة منوطة بالعبارة الاسمية أو ما ينوب عنها في الجملة كالضمائر وأسماء العلم"[16].

تجليات الإحالة النصية / المقالية:

تتكون الإحالة النصية من الضمائر وأسماء الإشارة وبعض ظروف الزمان والمكان التي تشكل علامات إشارية (*Déictique*) أو(*Embrayeur*) ترتبط دائما بعلاقة تجاور مع مرجعها "[17]، ويتحدد دورها في تحقيق الترابط الداخلي بين أجزاء النص من خلال عود العنصر الإحالي على العنصر الإشاري داخل النص السابق أو اللاحق للعنصر الإحالي. بالإضافة إلى" أنها ألفاظ مختصرة موجزة يستغني بها بارزة أو مستترة أو مضمرة عن ألفاظ تحتاج عند النطق زمناً وجهداً أطول وأكثر[18].

لا يخفى ما للإحالة من مزية في توثيق الصلة بين مكونات عينة لغوية حتى تستوي بنية نصية، لذا تناولها علماء النص من حيث هي آلية من آليات الربط اللفظي واشترطوا وجوب خضوعها إلى قيد دلالي يتمثل في تطابق الخصائص الدلالية للعنصر المحيل والعنصر المحال إليه؛ من حيث النوع والعدد، بصرف النظر عن موقع المحيل إليه سواء أكان سابقا له أم لاحقا به ، سنتولاه بالدراسة فيما يلي:

أولا: الإحالة الضميرية:

تعد الضمائر عناصر لغوية إحالية فعالة كونها تسهم في تماسك البنى النصية، وهي من الأهمية بمكان لأنها "نائبة عن الأسماء والأفعال والعبارات والجمل المتتالية"[19]، فتقوم مقام الأشخاص المشار إليهم في عملية التلفظ.

تنقسم هذه الضمائر بحسب أدوارها الإحالية - أي مشاركة هؤلاء الأشخاص في عملية التلفظ- إلى قسمين: ضمائر الحضور وضمائر الغياب، وتكون بارزة أو مستترة وذلك بحسب تمثلها على سطح البنية النصية، والفارق بينها؛ أن للضمير البارز إشارة لفظية في حين أن "الضمير المستتر معنى يرك بالعقل ولا وجود له في اللفظ".[20]

لئن اختلف الضميران؛ كون الأول مدركا حسًا والثاني مدركا عقلا، فإنهما يتفقان في وظيفة الربط بين بنيات النص العميقة والسطحية، ذلك أن "تقدير الضمير المستتر إنما هو قرينة معنوية على نشوء ارتباط[*]، وأن وجود الضمير البارز إنما هو قرينة لفظية على نشوء الربط"[21]. فاللحمة المعنوية واضحة في الضمير المستتر، "لأنك إنّما تضمر اسما بعد ما تعلم أن من يُحَدَّث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئا يعلمه"[22].

---

15 –نفسه ، ص:17.

16 - مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، منشورات وزارة الثقافة الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1998، دراسات لغوية، ج 2، ص: 15.

17 - مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته (محاور الإحالة الكلامية)، ج 2، ص:20.

18 - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1996، ج1، ص:411

19 - د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق –دراسة تطبيقية على السور المكية– ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)، 2000، ص: 137.

20 – د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، ص: 155.

*) الارتباط علاقة وثيقة بين طرفين تغني عن الربط بينهما بأداة، وأن الربط علاقة تصنعها اللغة بطريق اللفظ، أي الأداة لأمن اللبس في فهم الارتباط أو الانفصال.

– ينظر: د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، ص: 152.

21 - د. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص: 155.

22 - سيبويه، كتاب سيبويه، ج2، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1988، ص: 6.

إن اعتبار الضمائر أدوات اتساق مرهون بما تستوفيه من "أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم والمخاطَب وهي إحالة لخارج النص ولا تصبح إحالة لداخل النص أي اتساقية إلا في الكلام المستشهد به...ومع ذلك لا يخلو النص من إحالة سياقية تستعمل فيها الضمائر المشيرة إلى الكاتب (أنا، نحن) أو إلى القارئ بالضمائر(أنت، أنتم)، أما الضمائر التي تؤدي دورها في اتساق النص

فهي ضمائر الغيبة إفرادا أو تثنية أو جمعا (هو، هي، هما، هم، هن) وهي خلافا للأولى تحيل قبليا، إذ تقوم بربط أجزاء النص[23].

فالضمائر هي من العناصر التي تشترك فيها الإحالة النصية والإحالة المقامية.

تنقسم الضمائر إلى: ضمائر منفصلة وضمائر متصلة.

ا.تجليات الضمائر البارزة المنفصلة:

هي مجموع الضمائر التي يصح الابتداء بها، ومن ثم فالضمير البارز هو ما "استقل بالنطق ولم يتصل بغيره"[24]، وتنقسم إلى: ضمائر الرفع وتعرف باسم "الوجودية"[25] وضمائر النصب.

- **ضمائر الرفع**: وهي: أنا، أنت، هو، هي، هما، هم، هن.

وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسر عليه، لأنه أكثر الضمائر غموضا وأحوجها إلى مرجع يفسرها، بالتالي لا يحقق المعرفة بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه من اسم ظاهر قبله. لذا نجد ضمائر الغيبة "تحيل قبليا بشكل نمطي، إذ

. تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه" [26]، ففي قوله [الكامل]:

مَلِكٌ إِذَا نَطَقَتْ عُلَاهُ بِمَدْحِهِ خَرَسَ الوُفُودُ وَأُفْحِمَ الخُطَبَاءُ 1/35

هُوَ عِلَّةُ الدُّنْيَا وَمَنْ خُلِقَتْ لَهُ وَلِعِلَّةٍ مَا كَانَتِ الأَشْيَاءُ 1/36

يمثل الضمير المنفصل "هو" إحالة قبلية إلى سابق وهو "ملك" المحال إليه. وإنما يقتضي ضمير الغائب تَقَدُّمَ المفسر عليه لأنه وضع معرفة لا بنفسه بل بسبب ما يعود عليه، لأن الضمائر وإن كانت من المعارف إلا أنها مبهمة تحتاج إلى عائد يزيل ما تعلق بها من إبهام، لذلك فإن ذكر الضمير ما لم يتقدمه مفسره يبقي مبهما منكَّراً لا يعرف المراد منه حتى يأتي مفسره بعده .

فلو تأملنا قوله [الكامل]::

مِنْ صَفْوِ مَاءِ الوَحْيِ وَهْوَ مَجَاجَةٌ مِنْ حَوْضِهِ اليُنْبُوعِ وَهْوَ شِفَاءُ 1/37

وجدناه يتضمن أربعة عناصر إحالية تمثلت في ضمائر الغائب "هو"، حيث ورد منها اثنان بارزين واثنان مضمرين، ففي قوله:" مِنْ صَفْوِ مَاءِ الوَحْيِ وَهْوَ مَجَاجَةٌ "وردت شبه الجملة " مِنْ صَفْوِ مَاءِ الوَحْيِ" متعلقا بخبر لمبتدأ محذوف تقديره"هو"، أي "هو مِنْ صَفْوِ مَاءِ الوَحْيِ"، ولا خلاف في أن الضمير "هو" المقدر يعود على الخليفة المعز المذكور آنفا من باب الإحالة القبلية، أما الضمير البارز بعد واو الحال " وَهْوَ مَجَاجَةٌ " فيمكن حمله على وجهين؛ أولهما نحوي حيث عود الضمير على أقرب عنصر مذكور قبله، وبالتالي فالضمير"هو" يعود على "ماء الوحي". والثاني بلاغي يُرَدُّ إلى كفاءة المتلقي التأويلية، إذ في مقام المدح لم يعرف عن ابن هاني تردّد أو تهيّب، إذ غالبا ما ينزل ممدوحه أي المواضع شاء من غير أبه بما قد يترتب على ذلك من امتعاض المتلقي، فما الذي يؤخره على جعل ممدوحه مجاجة الملائكة أي ما تنفثه الملائكة من ماء الوحي، كما أن العسل مجاجة النحل، فإن صحّ ذلك صار الضمير "هو" عنصرا إحاليا يفسره العنصر الإشاري المذكور لاحقا على سبيل الإحالة الضميرية البعدية.

---

23 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

24 – سعيد كريم الفقي، قواعد اللغة العربية، مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، (د ط) 2008، ص: 17.

25 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

26 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

يتجلى النمط الإحالي عبر استعمال ضمير الغائب المنفصل"هو" في موضع لاحق ليحيل إحالة قبلية إلى "الدمستق" وأسطوله، باعتباره قائد الجيش البيزنطي الذي هُزِم على يد جيش المعز شر هزيمة فولى القهقرى بعد أن كان على رأس أسطول كان يرى ثقيلا بالجيش وسلاحه، أما على الأرض فقد نزل بالجزيرة يحدوه أمل النصر، فكلفه ذلك إطعام سباعها بنفوس رجاله، حين جاد بها مكرها مرغما.

يقول [الكامل]

أدَّى إلينا ما جمعتَ موفَّراً ثمَ انثَنى في اليَمِّ وهو جَفول 79/33

بالرغم من تباعد تواتر الأبيات في القصيدة، إلا أن هناك ارتباطا واضح القسمات بينها، يعززه بعد دلالي تبدو إزاءه الأبيات ذات وحدة موضوعية تلخص مشهدا حربيا، من خلال عود الضمير "هو" على عنصر إشاري رئيس مع ما يتعلق به، وهو ما يؤكد دور الإحالة في تحقيق التماسك النصي.

ضمائر النصب والجر: وهي: أياي، أياك، أياه، أياها، أياهما، أياهم، أياهن.

لم يتواتر هذا النوع من الضمائر بالقدر الذي يشكل ظاهرة أسلوبية تستدعي التفسير، إذ لم يرد إلا في موضعين من المدونة أولهما في قوله [الطويل]

وأنّى بهذا وهي أعْدَتْ برقِّها أباكم فإياكم ودعوىٍ هي الكُفر 36/19

في البيت هجاء لبني العباس بالرّق والعبودية المتوارثة عن جدهم العباس الذي أسر في غزوة بدر، ومن ثم يحذرهم من أن يتظاهروا بالسادة والأشراف، لأنهم خلاف ذلك بل على نقيضه.

ورد ضمير النصب المنفصل "أياكم" في محل نصب مفعولا به لفعل التحذير المحذوف تقديره "احذر" يفسر العنصر الإحالي "أياكم" بالعنصر الإشاري المذكور سلفا "بني نتلة" على سبيل الإحالة القبلية، فأسهم هذا الضمير في ربط البيت السابق بالبيت اللاحق، مع تفادي التكرار المخل بالدلالة والمفسد للذوق الفني.

يتضح دور الإحالة في تعزيز التماسك بين البنى النصية، حين لا تكتفي الإحالة النصية بعنصر محال إليه في جملة سابقة، بل "إن الإحالة تمتد عبر النص لتصل إلى أول تحقق وجودي للعنصر المحال إليه في النص... وكل ما زادت المسافة بين العنصر الرابط والعنصر المحال إليه زاد تأثيره قوة في تماسك النص"[27].

II. تجليات الضمائر البارزة المتصلة:

وهذا النوع "لا يبدأ به ولا يقع بعد"إلا"[28]، وهو إما أن يتصل بالفعل: كالواو من 'كتبوا' أو بالاسم كالياء من 'كتابي' أو بالحرف كالكاف من 'عليك' [29]، ويسمي محمد خطابي ما اتصل منها بالاسم بضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، كتابهم، كتابه، كتابنا...[30]. نوضح ذلك فيما يأتي:

- **ضمائر الرفع:**

ورد هذا النمط من الضمائر في قوله [الكامل]

ملأوا البلادَ رغائباً وكتائباً وقواضباً وشوازباً إن ساروا 53/39

وجداولاًوأجادلاًومقاولاً وعواملاً وذوابلاً واختاروا 53/41

عكسوا الزَّمانَ عوائنا ودواخناً فالصُّبحُ ليلٌ والظّلام نهار 53/42

سفروا فاخلتْ بالشموس جباههمْ وتَمَعْجَرَتْ بغَمامها الأقمار 53/43

ورسوا حجى حتى استخفّ متالع وهَمَوا نَدىٍ فاستحيتِ الأمطار 53/44

وتَبَسَّموا فزها وأخصَبَ ما حِلٌ وافتَّر في رَوضاتِه النُّوّار 53/45

---

27 - جمعان بن عبد الكريم، إشكالات النص – دراسة لسانية نصية– النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي بالدار البيضاء، ط1، 2009، ص: 391.

28 - الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2005،ج1، ص: 87.

29 - نفسه، ص: 88.

30 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

واستبلوا فتخاضعَ الشُّمُّ الذُّرى وسَطَوْا فذَلَّ الضّيغمُ الزَّآر[53/46]

تبرز الأحالة النصية القبلية في هذا المقطع من خلال عود ضمير الغائب المتصل الدال على الجمع المذكر (واو الجماعة) على عنصر إشاري سابق أحيل إليه وهو (جيش المعز).

في الأبيات وصف لجيش المعز بكثرة العدد ووفرة العتاد والسرعة في الكر والفر وشدة البطش بالأعداء.

تردد هذا الضمير بكثافة وهو ما يؤكد إدعاء الشاعر أن جيش المعز كثير العدد وافر العدة، بحيث لا تكتفِي المفردات الصريحة "ملأوا، ساروا..."بتأكيد هذا الزعم، بقدر ما يوحي به تكرار حرف المد، إذ" تقوم حروف المد بمد الصفات كيفا وكما ... وكلما ازداد المد أكثر ازداد العدد أكثر" [(31)].بالإضافة إلى تكرار صيغة صرفية تواترت على مدار المقطوعة وهو ما يؤهل السامع إلى تصور اللاحق في ظل تداول وحدة نغمية سابقة، وهذا من شأنه أن يحدث تماسكا نصيا يربط أول المقطوعة بآخرها.

تجليات الضمائر البارزة المنفصلة

تستعمل ضمائر الغائب بكثرة، لأن الضمير"هو" ظاهرا كان أو مستترا يدل على كل غائب عن الحواس حاضر في حياة المخاطبين[(32)]، وهو ما يليق بمقام المتحدث عنه في الغالب. نقف على هذا النمط من الإحالة الضميرية في قول ابن هاني مادحا المعز لدين الله الفاطمي [المتقارب]

أليس لها بالإمام المعزّ من الفخر لو فخرت ما كفى [2/30]

هو استنّ تفضيلها للملوك وأبقى لها أثرا في العلا [2/31]

ولما تخيّر أنسابها تخيّر أسماءها والكنى [2/32]

وفي البيت الثاني توظيف للضمير المنفصل"هو"والضمير المستتر الوارد فاعلا للأفعال"استن"و"أبقى" و"تخير" المحيل إلى المعز.

يتجلى دور الربط الإحالي من حيث هو" وسيلة لغوية مهمة من وسائل تحقيق التسلسل أو التتابع الخطي للجمل على المستوى التركيبي"[(33)] حتى وإن تقدم العنصر الإحالي وتأخر العنصر الإشارة المفسر للإبهام المتقدم. وإنما يقتضي ضمير الغائب تقدم المفسر عليه، لأنه أكثر الضمائر غموضا وأحوجها إلى مرجع يفسرها، بالتالي لا يحقق المعرفة بنفسه، بل بسبب ما يعود عليه من اسم ظاهر قبله. لذا نجد ضمائر الغيبة " تحيل قبليا بشكل نمطي، إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه" [(34)]، غير أنه قد يتقدم عنصر إحالي في بنية مؤكدة ويتأخر عنصر الإشارة المفسر للإبهام المتقدم كقول الشاعر [الطويل]

وما هو إلاّ أن يشيرَ بلحظه فتمخر فلك أو تغير مقانيب [6/27]

من الأبنية النحوية ما يكون فيها ضمير الفصل ركنا أساسيا بحيث لا يمكن الاستغناء عنه وإلا انهد البناء، خلافا لأبنية أخرى يكون استخدام ضمير الفصل فيها فضلى لا ينشأ عن غيابه أدنى اختلال بنوي أو معنوي، ومع ذلك تبقى له قيمة نصية لا غنى عنها، إذ تقوم بدور بارز في توفير التماسك الدلالي للنص. ومن أمثلة هذا الشكل الذي استخدم فيه الضمير استخداما اختياريا ما ورد في المدونة من قول ابن هاني[الكامل]

لو كنت أنت أبا البريّة كلّها ما كان في نسل العباد مبخّل [96/83]

الواضح أن ضمير الفصل"أنت" فضلى، فقد توسط اسم الفعل الناقص "كان" وخبره، فلا يلاحظ أدنى أثر لو اسقط، ومع ذلك يحقق ذكره فائدة دلالية، إذ الغرض من دخول الفصل في الكلام التوكيد والإشعار بتمام الاسم الذي قبله وكماله. ولنا أن نتدبر ذلك في ما ورد في هذه الأبيات.

ولم يُؤتَ مَرْءٌ حِكمَةَ القولِ كلَّها إذا هُوَ لم يَفْهَمْ ولم يَتَفَهّم [91/182]

---

31 - إياد الحصني، معاني الأحرف العربية، مطبعة عصام، ط1، 2012، ص: 97.

32 - ينظر: أحمد موسى سالم، العقل العربي ومنهج التفكير الإسلامي، دار الجيل، بيروت، 1980، (دط)، ص: 159.

33 - د. سعيد حسن بحيري، ظواهر تركيبية في (مقابسات) أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2006، ص: 235.

34 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص: 18.

أمّا الغِنى فهو الّذي أولَيْتَنَا فكأنّ جودَكَ بالخلُودِ رَهِين 106/46

بالعودة إلى الأبنية يلاحظ إمكانية حذف ضمير الفصل [هو] الذي يتوسط طرفي الإسناد، من غير أن يترتب على ذلك أي لبس بين المسند والمسند إليه"وعليه فإن علة وجوده نحويا منتفية"[35]، وبرر سيبويه ذلك بـ"أن 'هو' لا يحسن أن تكون فصلا حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة مما طال ولم تدخله الألف واللام [36].

الإحالة الضميرية البعدية.

الأصل في الإحالة أن تربط في البنية النصية السابق باللاحق شكلا ودلالة، غير أنه قد تعدل عن هذاالأصل فيتقدم عنصر الإحالة في بنية نصية مؤكدة، ويتأخر عنصر الإشارة المفسر للإبهام، تلك هي الإحالة الضميرية البعدية.

نلحظ تواتر هذا النوع من الإحالة لما له من فاعلية في تأكيد الربط بين عناصر الإحالة، ذلك أن المتلقي لايغادر البنية الإحالية إلا بعد تجليها، وفي ذلك من ضم سابق الأحداث بلاحقها ما يعزز البنية النصية.

يبدو أن الشاعر في قوله [الطويل]

أقول دمىٌ وهي الحسانُ الرّعابيبُ ومن دونِ أستارِ القِبابِ مَحاريبُ 6/1

قد شَكُل عليه التمييز بين الدمى وبين الجواري لما هن عليه من حسن ونعومة، أهن دمى أم هن الحسناوات اللاتي يحول دون أستارهن المقببة أبطال شجعان (محاريب) شغلوا بحراستهن وحفظهن؟ وهو ما يؤخر وصله بهن.

تُلْمَح الإحالة النصية في هذا الشاهد من خلال الضمير المنفصل "هي" الذي يحيل إحالة بعدية إلى "الحسان" اللفظ المذكور لاحقا والذي يزيل ما تعلق بالضمير السابق من إبهام. وفي ذلك من توطيد الصلة بين السابق واللاحق ما يخرج البنية النصية مستوفية البناء.

وأما السر في التزام تقديم ضمير الشأن فهو كما يفسره السكاكي" أن السامع متى لم يفهم من الضمير معنى بقي منتظراً لعقبى الكلام كيف تكون، فيتمكّن المسموع بعده في ذهنه فضل تمكّن".[37] وفي ذلك من توثيق الوشائج بين بنى النص ما يؤكد ما لضمير الشأن من شأن من حيث هو آلية من آليات الترابط النصي.

ثانيا : الإحالة الإشارية:

تبنى الإحالة الإشارية على أسماء الإشارة التي تعد ثاني وسائل الاتساق النصي، إذ تسهم في الربط النصي على غرار الضمائر، ويؤكد هذا الربط بين ضمير الإشارة والحروف...أنه يستعمل استعمال الروابط فينقل معنى ما يسبقه إلى معنى ما يلحقه ويكون بديلا عن مفرد أو جملة أو عن نص[38]، مع أنها ألفاظ مبهمة تحتاج إلى ما يوضحها، لذا أطلق عليها النحاة بمعية الأسماء الموصولة اسما خاصا؛ هو"المبهمات لوقوعها على كل شيء من حيوان أو نبات أو جماد وعدم دلالتها على شيء معين[39]وتتخذ معناها مما يليها

تصنيفها:

أكد الباحثان هاليداي *M.k.halliday* ورقية حسن *Ruqaia hasan* أن هناك "عدة إمكانيات لتصنيفها: إما حسب الظرفية : الزمان (الآن، غدا...)، والمكان (هنا، هناك)، أو حسب الانتقاء (هذا، هؤلاء...)، أو حسب البعد (ذاك، تلك...) والقرب (هذا، هذه) [40]

تُسهم هذه الأدوات في الاتساق النصي من خلال إمكانية الربط القبلي أو البعدي بين أجزاء النص، إذ يمكن لاسم الإشارة المفرد أن يحيل إلى جملة بأكملها أو متتالية من الجمل، لذا يسميه الباحثان بـ"الإحالة الموسعة" [41]، لأنه يربط بين أجزاء الكلام وإن اتسعت المسافة

---

35 - د. سعيد حسن بحيري، ظواهر تركيبية في (مقابسات) أبي حيان التوحيدي، دراسة في العلاقة بين البنية والدلالة، ص: 237.

36 – سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، الكتاب كتاب سيبويه، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ج2، ط3، ، ص: 392.

37 – السكاكي (أبو يوسف بن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987، ص: 198.

38 - د. سعيد حسن بحيري، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2005،1، ص: 145.

39 - عباس حسن، النحو الوافي، دار المعارف، مصر، (د ت) ط3، ج1، ص: 338،339 .

40- محمد خطابي، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب– المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص: 19

الإحالية، فيخرج الكلام مختصرا ويؤمّن استمراريته من غير تكرار قد يفسد ذائقة القارئ الفنية ويؤخره عن طلب مثل هذا النوع من النصوص.

تحقّق الإحالة إمكانية الربط بين بنيات النص السطحية والعميقة إلى الحد الذي تبدو فيه "قيدا حتميا لتحقيق عدة وظائف، هي التلاحم النصي(السبك) والتماسك النصي (الحبك) والانسجام النصي (التواؤم) والتشكيل النصي (الوحدة الكلية) والنصية بشكل عام"[42].

تنوعت أسماء الإشارة بحسب المشار إليه، من حيث العدد: إفرادا وتثنية وجمعا ومن حيث تموقعه من المتكلم: قربا أو بعدا ماديين أو معنويين. وهي بكل صيغها تسهم إسهاما معتبرا في تحقيق الترابط النصي.

نقف في ثنايا المدونة على تجليات الإحالة الإشارية البعدية، إذ ترددت الضمائر الإشارية بكيفيات متباينة، يتصدرها مرتبة اسم الإشارة الدال على الانتقاء "هذا" الذي تواتر تسعا وثلاثين مرة (39)، وتكرر اسم الإشارة المذكر الدال على البعد (ذاك) ستا وعشرين مرة (26)، وأما اسم الإشارة المؤنث (تلك) فقد تواتر سبع عشرة مرة (17).

بإعادة النظر في قصائد المدونة تستوقفنا هيمنة البناء الإشاري، حيث ملازمة السرد الإشاري للخبر القريب زمانيا من الشاعر. في معرض الترويج للخليفة المعز ولمذهبه، وهو ما يؤكده قوله [الطويل]

فلا ثكثروا ذكرَ الزَّمانِ **الذي** خلا فذلكَ عصرٌ قدْ تقضّى وذا عصر [36/5]

يتجسد هذا البناء بوضوح في القصيدة الأولى الموسومة "الحب حيث المعشر الأعداء" حيث تبدو مسوقة على منحى الإحالة الإشارية وبخاصة في جانبها المتعلق بالمدح إذ إنها تدور حول سرد الأخبار والإشادة بصفات الممدوح.

استفيد هذا المنحى بالضمير الإشاري"هذا"، الذي يغطي عددا غير قليل من المدونة فوجود هذه الأنماط الإحالية دليل على قيمتها الوظيفية إذ تساهم بشكل فعّال وبصفة كلية أو جزئية في بناء النص واتساق أجزائه. من ذلك قوله [الكامل]

هَذَا المُقَابِلُ فَرْعُهُ وَنِجَارُهُ حَيْثُ انْتَهَى الآبَاءُ وَالأَبْنَاءُ [1/47]

هذا الشفيع لأمة يأتي بها وجدوده لجدودها شفعاء [1/48]

هذا أمين الله بين عباده وبلاده إن عدّد الأمناء [1/49]

هذا الذي عطفت عليه مكة وشعابها والركن والبطحاء [1/50]

هذا الأغرّ الأزهر المتألّق الم تدفّق المتبلّج الوضّاء [1/51]

تبدو مزية الإحالة الإشارية في تحقيق الترابط بين بُنَى نصية متباعدة عبر تسلسل محكم يحيل إلى مرجع واحد وثابت يشكل مادة الخطاب وموضوعه، بحيث يؤدي تتابع اسم الإشارة "هذا" في المستوى العمودي داخل المقطوعة إلى تماسك أجزائها، فتتشكل عبر هذه العناصر الإحالية شبكة من العلاقات بين العناصر المتباعدة في بنية النص توفر للنص متانة السبك وجودة البناء.

فحديث الشاعر عن صفات الممدوح التي بزّ فيها من سواه من البشر؛ استدعى استعمال هذا الضرب الإحالي "هذا" حتى يقرن السمع بالبصر، فيستدعي الاسمُ الرسمَ، فلا مسوغ بعدئذٍ لغافل ولا حجة لجاحد، وهو ما يؤكده قوله [الكامل]

فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَةٍ وَتَنَبَّهُوا مَا بِالصَّبَاحِ عَنِ العُيُونِ خَفَاءُ [1/42]

إذ إن أكثر الصفات التي نعت بها ممدوحه مستمدة من تعاليم الشيعة الاسماعلية، فقد أضفى على المعز من خوارق الصفات ما يليق بمقامه من حيث هو إمام الشيعة وخليفتهم؛ حتى يصير شكر الخليفة ركنا من أركان صحة عقيدة الشيعي، يقول [الكامل]

فَرْضانِ من صوْمٍ وشُكرِ خليفةٍ هذا بهذا عندنا مقرونُ 106/83

---

41 - محمد خطابي، لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب- ، ص: 19.

42 – نفسه، ص: 107.

تنزّل اسم الإشارة الأول عنصرا إحاليا يفسّره العنصر الإشاري السابق "صوم" على سبيل الإحالة القبلية، وأما العنصر الإحالي الثاني فيفسره العنصر الإشاري "شكر الخليفة". ومن ذلك قوله [الكامل]

هذا معدٌّ والخلائقُ كلَّها هذا المُعِزُّ متوَّجاً والدّين 106/23

هذا ضميرُ النَشأةِ الأولى التّي بدأ الإلاهُ وسرّها المكنون 106/24

استخدم الشاعر أسم الإشارة "هذا" الدال على الانتقاء لأن مدار الحديث يتعلق بالإمام وهو في عرف الشيعة الاسماعلية علة الكون،" فكما أن الجسم خُلِق للنفس فكذلك الدنيا خُلِقَت للإمام وهو سببها[43].

استعان الشاعر في البيتين بثلاث إحالات نصية بعدية تعود على عنصر إشاري لاحق يزيل ما تعلق بها من إبهام، فشكلت بهذا التواتر محورا التفت حوله معاني البيتين وبؤرة دلالية استمالت اهتمام السامع ليتساءل عن المقصود بالحكم، عندها يتبدى المعز على أنه صاحب الشأن الذي يشار إليه بالبنان.

كما يتأكد ذلك في قوله[الكامل]

قد سَار بي **هذا** الزّمانُ فأوجَفَا ومحا مشيبي من شبابي أحرفا 65/1

هذا المعزّ بن النبيّ المصطفى سيذبّ عن حرم النّبيّ المصطفى 65/35

في صدر **هذا** العامِ لا يلوي على أحدٍ تلفَّتَ خلقهُ وتوقَّفا 65/36

وخطبتُ بالزَّوراء أُخرَى مثلَهَا ووقفُ بينَ يديكَ **هذا** الموقفا 65/57

حقق اسم الإشارة "هذا" في المقطع السابق إحالات بعدية عادت على عناصر إشارية مختلفة، فقد أحال اسم الإشارة "هذا" في البيت الأول إلى"الزمان"، وفي البيت الثاني إلى "الخليفة المعز" ، وفي البيت الثالث إلى "العام" وفي البيت الرابع إحالة إلى "الموقف". وقد استغنى الشاعر بتوظيفها عن تكرار الوحدة المعجمية، فأحال العنصر الإحالي إلى عنصر إشاري وقام مقامه، فتضافرت هذه الإحالات لتصنع الاتساق النصي وتحدث ترابطا بين أجزاء كل بيت.

أما قوله [الطويل]

تلكَ الشّجا قد ماتَ مغصوصاً بها من لا يكادُ يموتُ وهو قتيل 79/59

حاصل المعنى أن بعض جند الروم مات في الحرب، وهلك بعضهم همًّا وغمًّا، فصارت الحرب سبب شجاهم.

جلي أن لفظة "الشجا" بدل من اسم الإشارة المقصود بالحكم وهي التي تزيل ما تعلق به من إبهام، وهو ما يترتب عليه أن اسم الإشارة مبهم يحتاج إلى اسم لاحق يوضحه على سبيل الإحالة البعدية.

وقد ورد اسم الإشارة في قوله [الطويل]

كذلك ما قاد الكتائبَ مثلُهُ لإنصافِ مظلومٍ ولا قمعِ ظالم 93/31

مسبوقا بكاف التشبيه ردفا على مواقف سابقة أبدى فيها المعز تفرده، فشكلت للشاعر موضوع مديح؛ فهو قائد فذ وإمام منصف وملك صارم...وذاك ديدنه. يبدو أن العنصر الإشاري" كذلك" قد أحال إحالة قبلية تعود على ما ذكر قبله مما أسهب الشاعر في إسناده للممدوح من كريم الصفات.

و أحال اسم الإشارة "ذاك"في قوله [الطويل]

وما ذاك إلاّ أن يُخاضَ بها الرَّدى فتَنهَشَ تِنّيناً وتَضْغَمَ قَسْوَرا 45/33

إحالة نصية، إذ ناب اسم الإشارة على كلام سبق ذكره تعلق بما انمازت به خيل المعز من فضل عن باقي الجياد؛ فقد ألبسها في آذانها أقراطا من الدر ازدادت الأقراط حسنا إذا ما تحركت في آذان الخيل، وما ذاك إلا إعدادا لها لدخول الحرب التي تبدو فيها ضارية بحيث لا ينجو من سطوتها لا وحش عظيم ولا شجاع قوي.

---

43 - د. زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني الأندلسي، المقدمة، ص: 55.

أما أسماء الإشارة الدالة على البعد المادي أو المعنوي فلم يرد منها إلا بيت واحد في تحذير الروم مما قد يصيبهم من المعز إن تصدوا لمخالفته أو تعرضوا للخروج عليه، يقول [الطويل]

ولكنْ لعلَّ الجاثليقَ يغرّه على حَلَب نَهْبٌ **هنالكَ** مَنهوب [6/36]

تظهر الإحالة النصية القبلية البعيدة باستخدام الشاعر اسم الإشارة "هنالك" الذي يحيل إلى عنصر إشاري سابق (الجاثليق) ليجسد استحالة تسخيره (الجاثليق) بلادَ المعز ولو أمكنه تسخير بلاد بني العباس، وفي ذلك إشارة إلى تناهي المعز في العلو والشرف من جهة وإبعاد إمكانية حصول ببلاد المعز ما حصل ببلاد بني العباس.

ثالثا: الإحالة الموصولية:

يقصد بالإحالة الموصولية تلك التي يكون فيها العنصر الإحالي اسمَ موصولٍ، وهو ما " لا يتم بنفسه ويفتقر إلى كلام بعده تصله به ليتم اسما [44]، لأن الأسماء الموصولة أسماء مبهمة تحتاج إلى جملة الصلة لتزيل إبهامها وتوضح المقصود منها، " فالموصول ما لابد له في تمامه اسما من جملة تردفه من الجمل التي تقع صفات ومن ضمير فيها يرجع إليه وتسمى هذه الجملة صلة"[45]. ويشترط فيها اشتمالها على ضمير عائد على اسم الموصول يطابقه في النوع والعدد.

أما عن وظيفتها فتشترك الأسماء الموصولة مع الضمائر الإشارية في استيفاء وظيفة الربط والإحالة والاختصار، فهي سيان عند إبراهيم الفقي" إذ تقوم الإشارة والموصولات بنفس وظيفة الضمائر من حيث الإشارة والمرجعية والربط[46]. ذلك أن الاسم الموصول يستلزم جملة الصلة وهي التي يزيل ما تعلق به من إبهام وعادة ما تكون جملة فعلية، وقد تعطف عليها جمل من جنسها فيطول الكلام ويظل مرتبطا في كل ذلك بالاسم الموصول المذكور سلفا بغض النظر عن نوعه أخاصا كان أم مشتركا. وعلى هذا الأساس، تنقسم الأسماء الموصولة إلى: خاصة ومشتركة.

فالأسماء الخاصة "هي التي تفرد وتثنى وتجمع وتذَكّر وتؤنّث حسب مقتضى الحال وهي: الذي للمفرد المذكر واللذان للمثنى المذكر، والذين للجمع المذكر العاقل والتي للمفردة المؤنثة واللتان للمثنى المؤنث واللاتي واللواتي واللائي للجمع المؤنث والألى للجمع مطلقا سواء أكان مذكرا أم مؤنثا"[47]. وتكون الأسماء الموصولة المشتركة "بلفظ واحد للجميع، فيشترك فيها المفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث/ وهي: من وما وذا وأي وذو" [48].

من ذلك قوله [الكامل] :

جهل البطارق أنّه الملك **الذي** أوصى البنين بسلمه الآباء [1/62]

حتى رأى جهّالهم من عزمه غبّ **الذي** شهدت به العلماء [1/63]

حاصل المعنى أن قواد الروم جهلوا أن "المعز" هو الملك الذي كان أسلافهم أوصوهم أن لا يخاصموه، فلما أخلّ بالوصية الخلف، شاهدوا من قوة "المعز" وعزمه ما شهد به علماؤهم.

يضطلع الاسم الموصول "الذي" في البيت الأول بالربط بين جملتين، إحداهما معلومة بسابق الذكر وهي: "أوصى البنين بسلمه الآباء" والأخرى هي ما يريد الشاعر إبلاغها للمخاطب وهي الجملة المجهولة لديه والمتعلقة بموضوع الوصية وطبيعتها.

تبدو كفاءة الاسم الموصول الاتساقية في إمكانية الربط بين النص الغائب والنص الحاضر واضحة، إذ تنزّل الاسم الموصول "الذي" منزلة الاسم الظاهر"الملك" وضَمَنَ بذلك استمرارية الخطاب بجمعه بين "فعل الملك" بالروم وتحذير أسلاف الروم أخلافهم من"فعل الملك" إنْ حاولوا التصدي له.

---

44 - ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، إدارة الطباعة المنيرية، (دت)،(دط)، ص: 138.

45 - نفسه، ج3، ص: 150.

46- د.إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000، ص: 138.

47 - الشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ج1، ط1، 2005، ص: 97.

48 - نفسه، ص: 99.

تَبْرُز قيمة الاسم الموصول الإحالية من خلال تحقيق الترابط بين هذه الأبيات المبثوثة لفرط ما حققه الاسم الموصول من ترابط بين العناصر اللغوية، فجاءت محكمة النسج، وهو ما خلق نوعا من الاستمرارية الدلالية من خلال رد المعاني وإسنادها إلى محور الخطاب.

تحيل هذه الأسماء الموصول إحالة داخلية إلى العنصر الإشاري الذي يفسرها ويحدد معناها وهو اسم الإشارة "هذا" الذي يعود على المعز، إذ لا وجهة في الإشارة إلى غير معروف لدى المتلقي.

أما الاسم الموصول المشترك المستفاد بـ"من" للعاقل و"ما" لغير العاقل، فمنه ما ورد في قوله [الطويل]

فجيئوا **بمن** ضَمَّتْ لُؤيُّ بن غالبٍ وجيئوا **بمن** أدتْ كِنانَة،والنَّضْر [36/28]

ولا تَذَروُا عليا مَعَدٍّ وغيرِهَا ليُعْرَفَ منكم **مَن** له الحقُّ والأمر [36/29]

ثانيا: تجليات الإحالة الخارجية / المقامية:

وهي أحالة إلى خارج النص، من خلال توظيف المتكلم ضميرا دالا على ما لم يسبق ذكره في النص، مع إمكانية التعرف عليه من سياقات الموقف، وهو ما يتطلب من المتلقي الالتفات إلى خارج النص حتى يتعرف على الشيء المحال عليه. لذا سمّى دي بوجراند هذا النوع من الإحالة " بالإضمار لمرجع متصيّد أو الإحالة لغير مذكور[49].

يتطلب هذا النوع من الإحالة تيقظا وحضورا مكثفا للقارئ حتى يتمكن من تحديد المحال إليه انطلاقا من الظروف والملابسات المرافقة للنص، لأنه يعود "في الإحالة لغير مذكور إلى أمور تستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معها في الإحالة في نفس النص أو الخطاب[50].

يتجلى البعد الاتساقي لهذا النوع الإحالي في ارتكازه على الوقائع غير اللغوية المعززة للتماسك النصي،من خلال استثمار التفاعل بين النص والموقف السياقي، فالإحالة المقامية "ترتبط بالمقام التداولي المحيط بالنص أو الملفوظ، فالعناصر الإحالية نحو: الضمائر والإشارات والموصولات يرتبط تفسيرها بالمقام الإشاري الخارجي[51]، وهو ما يجل مكانة السياق في تحديد المعاني وضبط المفاهيم، إذ "بدون السياق نقف عاجزين أمام تفسير ما يقال"[52].

استعمل الشاعر ضمائر المتكلم المنفصلة "أنا" في بعض مواضع المدونة، العائدة على ذات الشاعر كونها "الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه[53]. ففي قوله [الطويل]

أُهنّيكَ بالفتْحِ الذي أنا ناظِرٌ إليهِ بعينٍ ليسَ يغمضها الكفر [36/66]

يتحدث عن نفسه مبديا خالص الولاء للممدوح، مثمنا كل ما بدر منه، ناظرا إليه بعين شاكرة ممتنة، خلاف أعداء المعز الذين يغمضون أعينهم كفرا بما يصنع.

وفي موضع آخر يبرئ نفسه من كل تزلف أو تمدّح، فكل ما قاله في ممدوحه صدقه الله في اعتقاد الشيعة. يقول[الطويل]

وصدَّقَ فيكَ الله ما أنا قائِلٌ فلستُ أُبالي مَن أقَلَّ وأكثرا [45/68]

ويذهب في التنويه بقوة المعز في بسط نفوذه إذ يعلن الخلق له الانقياد طوعا أو كرها يقول[الكامل]

وأنا الضّمينُ لهُ بِمُلْكِ قِيَادِهِمْ طَوْعاً إذا المِلكُ العنيفُ تعَجْرَفا [65/37]

يثني بفضائل آل البيت على الرغم من أن القرآن أوحى بذلك، فالوحي لم يخطئ ولم يقل فيهم إلا حقا. يقول [الطويل]

---

49 - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر/ د.تمام حسان، ص: 301 و332.

50 - نفسه، ص: 332.

51- أ.مصطفى زماش، الإحالة في ديوان الجزائر لسليمان العيسى، دراسة نصية، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان/ الأردن، ط1، 2016، ص: 33.

52 - د. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ج1، ص: 165.

53 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب– مقاربة لغوية تداولية– دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 45.

ثنائي على وحيِ الكتابِ عليكمُ فلا الوحيُ مأفوكٌ ولا أنا آفك [75/43]

تضمن مجموع الأبيات ضمير المتكلم المنفصل "أنا" ليحيل به إلى عنصر إشاري خارج النص هو الشاعر نفسه إحالة مقامية، يبدو الشاعر من خلالها ذاتا مرسلة للخطاب تصدر من منظومة دينية مشبعة بأبعاد عقيدية محل خلاف بين الفرق الإسلامية، يستدعي حسن التأويل الصدور من صلب هذه المنظومة أو الإحاطة بتاريخ الفرق الإسلامية أو الاطلاع على الأسس الفلسفية التي انبنت عليها هذه التيارات الفكرية في نظرتها إلى العقيدة.

ويوظف في موضع آخر ضمير المخاطب مشيرا به إلى ذات المعز، يبدو هذا التواتر في مثل قوله [الكامل]

النّورُ أنتَ وكلُّ نورٍ ظلمة والفوقُ أنتَ وكلُّ فوقٍ دون [106/77]

لم تسكن الدّنيا فواقَ بكيّةٍ إلاّ وأنْتَ لخوفِها تأمين [106/81]

الله يقبَلُ نِسكَنا عنّا بما يرْضِيكَ من هَدْيٍ وأنت مُعين [106/82]

فارْزُق عبادَك منكَ فضْلَ شفاعة واقرب بهمْ زلفى فأنتَ مكين [106/84]

تكرر ضمير المخاطب "أنت" في هذه المقطوعة خمس مرات ليحيل به إلى عنصر خارج النص، إنه الممدوح المعز لدين الله الفاطمي مشكلا بذلك إحالة ضميرية قبلية على سبيل الإحالة المقامية، وتفهم من خلال النظر في العلاقة بين النص والسياق الخارجي له وهو ما يولد للنص دلالة ويوسع آفاق التأويل، حيث أغنى الضمير عن تكرار لفظة "المعز"، لأن السياق الشعري يتطلب من الشاعر أن يوظف هذا النوع من الإحالة تعظيما لشأن الممدوح، فالضمير "أنت" لا يرادف اسم المعز بالضرورة، بل هو قيمة مطلقة ألحقه بها لينزهه عن الاتصاف بصفات البشر فلو قال "النور المعز" لصار قوله تزلفا وتمحلا، لِادِّعَاء أن المشبه استغرق في المشبه به، إذ كيف للمعز أن يغطي نوره الأرجاء وهو يشغل حيزا معلوما؟ ثم إنه لو ذكر الاسم (المعز) صراحة لألفته الأسماع لكثرة تداوله فيهون خطره ويضعف شأنه، "لأن الألفة تهون المكاره "[54].

وظف الشاعر ضمير المخاطب المنفصل (أنت) عنصرا إحاليا يعود على العنصر الإشاري المقامي (المعز) محققا بذلك إحالة مقامية أدت إلى إثراء دلالة النص من خلال ربطه بالسياق الخارجي، وهو ما أتاح للقارئ إمكانيات التأويل، إذ يمكنه أن يتعرف على هذه الشخصية استنادا إلى كفاءاته التصورية ومعرفته بالعالم الخارجي، حيث السياقات المرافقة لعملية الإبداع.

- **ضمائر الرفع المتصلة**

لم يكثر الشاعر تداول ضمائر الرفع المتصلة سواء الدال منها على المخاطبين أو المتكلمين، إذ لا حاجة للشاعر في مخاطبة الممدوح بقدر ما تبدو حاجته أكثر في التحدث عنه للناس للإشادة به وتجسيد فضائله، ولا حاجة للشاعر في اعتماد ضمير المتكلمين – إلا في القليل النادر-، لأن الأمر لا يتعلق بالمباهاة بالنفس من باب الفخر بالذات، وإنما الشاعر هو لسان حال المعز.

ينوه الشاعر في هذا المقام بمفاخر المعز في الذود عن حرمة الدين بدحر أعدائه، مخاطبا إياه بقوله [البسيط]

حسمتَ منهُ قديمَ الدّاءِ متّصلاً بالجاهليّةِ لاءٍ بالورى هزل [82/25]

وما نظرتَ إليهِ كلّما جعلتْ تمْتَدُّ منه برأسِ الفارسِ الخَطِل [82/32]

إلاّ تَبَيَّنْتَ سِيما الغَدْرِ بَيّنَةً عليهِ والكفرِ للنّعماءِ والغيل [82/33]

إذا نَظَرْتَ إليْه نَظْرَةً دَفَعَتْ إليك شِبهَكَ في الأشْباهِ لم يفِل [82/80]

فليتَنَا قد أرَحْنا هَمَّ أنفُسِنَا أو استراحتْ مطايانا منَ العقل [82/85]

حاصل المعنى أن الخليفة استأصل شر "ابن الجزر"(*) القديم المتصل بزمان الجاهلية بقطع رأسه، فقد كان يحتقر الناس ويستصغرهم كأنه يعدهم لهوا وهزلا. فإذا نظرت إلى رأسِه بعد أن قُطِعت وحُمِلت على القناة، وجدت عليها علامة الغدر والخديعة وكفران النعمة.

وفي البيت (82/85) إشارة إلى ما في ابن المعز "عبد الله" من شبه بأبيه بعد أن عزز به الملك ووطد أمره، وفي البيت (82/85) يرغب الشاعر أصحابه في الإقامة بمصر وجعلها وطنا لهم بعد أن لذ بها المقام.

---

54 - د. بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1985، ص:223.

*) أمير بربري وهو محمد بن الخزر الزناتي (ت 360 هـ) – ينظر: د. زاهد علي، تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني، المقدمة، ص: 44.

تظهر الإحالة المقامية في الأبيات من خلال ورود الضمير"تاء المخاطب" متصلا بالأفعال"حسمتَ، نظرتَ، تَبَيَّنْتَ"، بحيث يحيل ضمير المخاطب المفرد إلى المعز إحالة مقامية، كما تتجسد الإحالة المقامية بتواتر ضمير المتكلمين"نون الجماعة" متصلا بالأفعال "فليتَنَا، أرَحْنا" الذي يحيل إحالة خارجية إلى ذات الشاعر الذي عبر عن رغبته في اتخاذ مصر مستقرا وسكنا. ربطت الإحالة المقامية بين لغة النص والسياق الخارجي وهو ما يتيح إمكانات أوفر للمتلقي ليحسن التأويل.

- **ضمائر الرفع المستترة**

تواتر شيء من ضمائر الرفع المستترة في قوله [البسيط]

قل للبريّة ِغُضّي من عِنانِكِ أو سيري لشأنكِ ليسَ الجدّ كالهزل [82/41]

لمْ ألقَ في النَّاسِ مجهولَ البصيرة ِأو مُسَوّفاً نفسَه قولاً بلا عمَل [82/42]

لم أثْقَفِ المرءَ يَعْصي مَن هداه ومَن نجّاه من عثراتِ الدَّحْض والزَّلل [82/43]

في المقطوعة تأكيد لمعتقد شيعي في أن الإمام هو خليفة الله في خلقه، غالب على أمره في أية حال تكون الدنيا/ البرية، لأنه هو الحق. لينبري هاجيا ابن الخزر بقصر النظر، لأن المعز أنعم عليه وسدده إلى الرشاد، لكنه عصاه وكفر بنعمته.

تتجلى الإحالة في هذا المقطع من خلال ورود الضمير المستتر "أنتَ" المتعلق بفعل الأمر "قل" والضمير المستتر "أنتِ" المتعلق بفعلي الأمر "غضي"و" سيري ".

يحيل الضمير الدال على المخاطب المذكر إلى صاحب الشاعر كما يحيل الضمير الدال على المؤنث إلى الدنيا/ البرية إحالة مقامية خارجية. وقد أسهم تواتر هذا النمط من الضمائر في توطيد الروابط بين الأبنية النصية من خلال الإحالة إلى ذوات مختلفة، تحمل المتلقي على إعمال فكره في البحث على المحال عليه الذي هو خارج النص من خلال توظيف المكاسب المعرفية القبلية التي يعتد بها في تأويل دلالات النص، كأن يدرك مثلا أن صاحب الشاعر (المخاطَب) لا يشترط فيه أن يكون شخصية حقيقية بقدر ما هو أداة فنية دأب الشعراء على استدعائها في صوغ تجاربهم الشعرية.

- **ضمائر النصب والجر**

تتواتر في المقطع صيغة المخاطب التي تتجسد بنويا في "الكاف" ضميرا متصلا بالكلمات:" منك، نداك، عنك، ذاتك، فيك، عنك، لك، حبك، بك، مدحك، عليك" ويحيل هذا الضمير إحالة قبلية على "المعز" المذكور في البيت الثلاثين من القصيدة الأولى والملقب بالملك فيما عداه.

حَتَى دُفِعْتُ إِلَى الْمُعِزِ خَلِيفَةِ فَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَطْلَبَ الخُلَفَاءُ [1/30]

على الرغم من تباعد المسافة الإحالية بين المحيل والمحيل إليه، إلا أن الخيط الدلالي ما يزال يشد أول تحقق وجودي للعنصر الإشاري المحال إليه في النص بالعناصر المحيلة اللاحقة.

تتجسد الإحالة المقامية في هذا الخطاب الشعري من خلال ضمير المخاطب الذي يتجلى بنويا في ضمير "الكاف" المتواتر بصفة ملحوظة في الكلمات: "منك، نداك، عنك، ذاتك، منك، فيك، عنك، لك، بك، فيك، حبك، بك، مدحك، لك، عليك".

يقصد بالمخاطب السامع الحاضر الذي يشكل طرفا فاعلا في عملية التواصل التي لا تكتمل إلا بوجود متلق يستقبل نص الخطاب ويتأثر بمفاهيمه.

أحالت هذه الضمائر قبليا إلى المعز، غير أن هذا العناصر تحيلنا إلى خارج النص على اعتبار أن التخاطب يقتضي سامعا يتحدث إليه ولا يحدث عنه، مما يجعل هذه العناصر الإحالية تسهم في ربط أجزاء هذه المقطوعة بعضها ببعض من ناحية وكذا ربطها بالمقام الخارجي من خلال تأويل العناصر المبهمة فيها.

إن هذا النوع من الإحالة يحتاج جهدا أكبر من المتلقي حتى يتمكن من معرفة المحال إليه، فتأويل العناصر الإحالية يحتاج إلى معرفة السياق الخارجي المصاحب للنص، ومن ثم ربط فضاء النص بالعالم الخارجي.

الإحالة المقارنة

هناك نوع آخر من الإحالة هو الإحالة المقارنة لأنها تتحرى ما توفره أدوات المقارنة من اتساق بين البنى النصية، إذ يشترط لعقد مقارنة بين شيئين توفر سمات مشتركة بينهما من شأنها تمتين البنية السطحية وتعزيز البعد الدلالي.

يمكن أن نميّز بين نوعين من الإحالة المقارنة: "عامة ويتفرع منها التطابق ويتم باستعمال عناصر مثل: "*same*"، والتشابه وفيه تستعمل عناصر مثل: "*similar*" والاختلاف باستعمال عناصر مثل: "*other otherwise,*" وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل: *more...*) وكيفية (أجمل من، جميل مثل...) [55].

لا تدل ألفاظ المقارنة - شأنها شأن باقي العناصر الإحالية الأخرى - بذاتها بقدر حاجتها إلى ما يزيل ابهامها مما يليها من عناصر إشارية وهو ما يعزز دورها الاتساقي ويوطد علاقة المتلقي بالنص من خلال البحث عما يحيل إليه المتكلم باستعمالها.

تشتفاد الإحالة المقارنية العامة بالعنصر الإحالي الدال على التطابق "مثل". أما الإحالة المقارنية الخاصة الدالة على الكيفية فتستفاد بصيغة المفاضلة المجسدة بمثل هذه العناصر: أكبر، أكثر، أعظم، أحلى، أمر" .

يمكن أن نوضح دور هذه العناصر في تماسك النص الشعري من خلال قول الشاعر [المتقارب]

فقدنا إلى الوحش **أشباهها** ورعنا المها فوق **مثل** المها [2/12]

عليها المغاوير في السّابغات ترقرق **مثل** متون الأضا [2/41]

فيومكم **مثل** دهر الملوك وطفلكم **مثل** كهل الورى [2/68]

إلى **مثل** جدواك تنضى المطيّ ومن **مثل** كفّك يرجى الغنى [2/86]

الملاحظ أن لفظتي "أشباهها" و"مثل" وهما من ألفاظ المقارنة قد ربطتا الجملة الثانية بالجملة الأولى، لأنه لا يمكن للمتلقي أن يعرف المجهول إلا بمقارنته بما هو معروف، ذلك أن الخيل التي ركبوها لصيد بقر الوحش قد جمعت بين الحسنيين؛ فهي قوية مكتنزة كبقر الوحش وحسناء جميلة الأعين كالظبي، ومنه يمكن للمتلقي في ضوء هذه المقارنة أن يقدر قوة الخيل وأناقتها لِمَا يقوم دليلا على ذلك في العرف العربي.

خلاصة:

حاولنا في هذا المبحث أن نبين ما للإحالة من مزية في خلق سمة النصية لأية عينة لغوية، حين توسل بها ابن هاني من حيث هي آلية من آليات التشكيل اللغوي، من خلال إسهامها -بأنواعها المختلفة من إشارية، وموصولة، ومقارنة- في تعليق بعض الكلام ببعض، والربط بين عناصره سواء أكانت قبلية أم بعدية.

ومن ثم يمكن أن نستجمع الأدوار المستوفاة جراء تداولها آلية نصية في ما يأتي:

1. تبدو أسماء الإشارة أكثر العناصر الإحالية قدرة على اختزال الأدوار وتعيين المقاصد، حين يقوم اسم الإشارة مقام المشار إليه سواء أكان اسما مفردا أم صيغة نصية.
2. يعين باسم الإشارة "هذا" في الغالب المعز لدين الله الفاطمي بوصفه ممدوح الشاعر، والمعز إمام مريديه وخليفتهم.
3. إن استعمال الإحالة الإشارية يبيّن ما للضمير من فاعلية قصوى في اتساق النص، الذي يستفاد من غير تكرار ممل.
4. إن السامع متى لا يفهم من الضمير معنى بقي منتظرا العقبى، فيُزَال إبهام الضمير الإشاري بذكر المشار إليه الذي تتعاظم قيمته عند المتلقي.
5. أدت الإحالات الإشارية في المدونة دورها الاتساقي في بنية النص السطحية بالإضافة إلى البعد الدلالي الذي استفيد من دون تكرار قد يفسد الذائقة الفنية.
6. اتسمت العلاقة بين المحيل والمحال إليه بالتوافق والانسجام، من خلال التطابق بينهما في النوع والعدد وتجسد العلاقة الدلالية بينهما.
7. مكنت مجموع الإحالات الإشارية في المدونة المتلقي من التعرف على المحال إليه وإدراك قصد الشاعر من استعمالاته.
8. وضوح الإحالات في المدونة من خلال عودتها على محيل واحد.

---

55 - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص: 19.

9. هذا النمط من الإحالة يوسع مجالات التأويل أمام القارئ حين يسعى إلى البحث عن المحال إليه خارج النص، "لأن ثمة تفاعلا متبادلا بين اللغة والموقف، فالموقف يؤثر بقوة في استعمال طرق الإجراء"[56].

10. تتميز ألفاظ المقارنة بأنها تعبيرات إحالية لا تستقل بنفسها، وهو ما يؤهلها لأن تكون وسيلة من وسائل التماسك؛ ولذا فأينما وردت هذه الألفاظ اقتضى ذلك من المخاطب أن ينظر إلى غيرها بحثا عما يحيل عليه المتكلم

56 - روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة أ.د: تمام حسان، عالم الكتب، نشر، توزيع، طباعة، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص: 339.